

ولاء .. ولاء

«الذي أوجع النخيل تلك الليلة فمال ، أوجع أكف الرجال
ابضا وهي لا تدري : بم تجيب أغنية الشيخ الذي ينفق كلما ازداد
رفضا وغناء . والسطوح الطينية المجاورة انخفضت أكثر من ذي
قبل - فيما ادري - وسؤال الشيخ ينزرع فيها وفي التباتات
أمرفضة ازاءها ثقيلًا ومحملا وحقيقيا .

والسوار الابيض المطعم بالانوف والوجوه الفامقة والعيسون
الموهجة يرتج حوله كلما اوغل في رواية قصته مفض العينين
مجنون الخطى .. يطوف بالحلقة .. فيخر الكف الكتف نحسرا
كنما هو يؤنبه لما اصاب الشيخ السائل المفني ، فتصطفق الراحات
بالراحات .. والاقدام بالاقدام .. ويعلو الفبار وتتصاعد رائحة
الشواء الانساني من الاجساد المجهدة .. ويلج الشيخ في السؤال،
فلا يجيبه الجمع بغير : « دان دان » .

كان في لهجته ما ينم على انه من الجنوب من تلك القلاع التي
بذرها الغزاة رصاصا ودما .. طاب .. وتلوى مثل أي نهر يسرق
صدمت الوديان واحزان المروج .

وكان يسأل : متى سيعود الى المراعي والجبال والحب الذي
ينجم بينهما .. يسأل حتى امتلا وذوى .

نظر الي سديقي في طريق العودة ، فأجبت علسى الفور :
« دان .. دان . »
فواز

صفق الراقص فاصطفت على الجنبيين جدران
.. ونخل .. ويدان

واستدار الليل خوفا .. ووجوها تتاوى دان .. دان
كان شيخا خلفه سبعون عاما .. وصحاري

.. وعلى الخصر نطاق .. وعلى الساج تلوب القدمان
تخفق الراحة كالنسر على الاخرى .. وتعدو

الساق خلف الساق .. يلتف ..
ويستعطي أكف المنشدين

يتعري راقصا من عمره السبعين .. يرفض
جبين بارق .. تبكي - اذا اوجعه

اللحن - شفاه .. ويدان ،
ويفني .. طائفا بالساحة الكبرى .. فتهد

أكف : دان .. دان

نزل الليل الى الساح فغطته العيون .
قبل أن تحمر .. غطته العيون .

واستقام النخل للريح .. ومال .
حينما هبت شمال .

واتكى الحائط مهدودا على الحائط .. والشيخ يفني
سائلا أيدي الرجال

قدماه اغبرتا .. والوجه يكتظ بعشب

الارض .. والظل .. فيخضر الجنوب .
بسمبايا يتلثمن بعيدا .. وصغار يسألون
الشيخ - والصيحة في الاعين - ماذا سيكون ؟
طائفا بالساح .. كان

قبل ان تهدأ أشجار الرياح الهوج .. أوجاع القلوب
قبل ان تحمر في الساح العيون

حاصروه .. اشتعل الشيخ غناء ..
حاصروه .. اشتجرت منه اليدان

فدنا منه خليج من أكف وشفاه : دان .. دان

هو في الساح .. وفي الليل البوادي
وعروس تتلوى في الفراش

وقتيل من أحبته .. دم في كل وادي
ويغني .. مثلما غنت صبيه .

هي أخت لشهيد مات في ارض بلادي
- قبليني .. قبليني . لن أعود

لن أرى كفك ترتاع بكفي
لن أرى وجهك في الماء - اذا اعطش -

.. لن يشحب نايبى اذ تعودين مساء
وعلى أرضي بقايا من دماء

يا عروسي قبليني .

وجع الشيخ .. توهج
دار .. فانحل النطاق وأكف تدموج .

- فمتى أرحل كالنهر إليها ؟
- دان .. دان

- وأراها - مثلما كانت - صبيه ؟
- دان .. دان

- آكل الخبز .. واصفر إذا قالت : وداعا ؟
- دان .. دان

- تتداني - ان بكت يوما على النهر بصمت - ضفتان ؟
- دان .. دان

- اشتري مهرا .. وحله ؟
- دان .. دان

- وعطورا للصبيه ؟
- دان .. دان

- نزرع الارض سويا ؟
- دان .. دان

- آه .. هيا .

صرخ الشيخ .. وجارت راحتاه .
نحر الكتف أخاه .. اصطفت أيدي الرجال .

فأجاب الليل .. أقواسا .. وأجراس نجوم ..
وصحاري : آه .. آه

زرعوا الساحة اقداما حواليه .. فماتت من نحيب
قدماه .

فواز عيد

الرياض